العمارة الحفصية في المغرب الادنى
المدرسة الشماعية انموذجا

أ.م.د. حسين علي قيس •

الملخص:

قامت الدولة الحفصية في المغرب الادنى في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، واتخذت من تونس قاعدة لحكمها، وفي عهد هذه الاسرة شهدت مدينة تونس وباقي البلاد الخاضة لحكمها استقرار سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، كان له اثرا ايجابي على العمارة والفنون المعمارية، وانبرى امراء هذه الاسرة بأنشاء الصروح المعمارية التي توزعت في مختلف انحاد دولتهم، فأحاطوا مدنهم بالاسوار واقاموا القلاع لاغراض دفاعية وشيدوا الصروح المعمارية ذات الاهمية من الناحية الاجتماعية كالحمامات والمراجل والسبل، كما شيدوا العديد من الجوامع كجامع القصبة وجامع الهواء فضلاً عن الكتاتيب و المدارس .

وتعد المدرسة الشماعية اول مدرسة تشيد في المغرب العربي عامة وفي تونس خاصة بأمر من الامير الحفصي ابو زكريا بن يحيى سنة ٦٣٤هـ/١٢٣٦م التي تميزت بتصميمها الفريد من نوعه فهي تمثل الانموذج الامثل لطراز العمارة المغربي ذات التأثير الشرقي و يعود الفضل الاكبر للمعماريين المصريين في نقلها الى تونس وهذا ما نلحظه في نمط البناء الذي اعتمد على الاروقة والايوان الذي احاط بحجرات الطلاب المشابه بتصميم المدارس المصرية ولاهمية هذه المدرسة فقد تعرضت لاضافات عده عبر مراحل زمنية لاحقة كان لها دور كبير في بقاء واستمرار هذه المدرسة حتى وقتنا الحاضر .

الكلمات الدالة:

دولة الموحدين، الدولة الحفصية، ابو زكريا بن يحيى، المدارس، المدرسة الشماعية

• تدريسي في قسم التاريخ – كلية الاداب الجامعة المستنصرية بغداد – العراق
awtas72@yahoo.com

المنارة للاستشارات
www.

المقدمة

يعد التراث المعماري الإسلامي ثروة حضارية أصيلة ومتميزة تمثل بصدق الهوية الثقافية والفكرية للمسلمين، وتجسد المستوى الإبداعي والجمالي الذي وصل إليه الإنسان المسلم خلال مختلف العصور والحقب التاريخية المتعاقبة .

وقد كان لبلاد المغرب بصورة عامة أثر واضح في مسيرة تطور هذه العمارة، وترسيخ أصالتها وحفظ أنماطها، ومفرداتها، وعناصرها المعمارية ونقوشها الزخرفية والكتابية ممّا تجلى بوضوح في ما تزخر به ربوع هذا البلد الكريم من صروح دينية (المساجد، والجوامع والمدارس، والزوايا) وأبنية مدنية (الدور والقصور، والحمامات، والسقايات، والمنشآت التجارية، وقناطر المياه) وقلاع حربية (الرباطات، والقصبات، والأسوار) في العديد من الحواضر الكبيرة مثل تونس، فاس، مراكش، وغيرها من مدن بلاد المغرب، تعد كلها شواهد حية على الفرادة في الابتكار والتفوق، والقصدية في البناء والتشييد والعمران، وتشكل نموذجا فذا للتمثل الإبداعي والجمالي للمواصفات الحضارية التي سنّها القرآن الكريم، وفرضتها القيم السامية التي أمر بها الدين الحنيف .

لقد قامت الدولة الحفصية في المغرب الادنى في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي، واتخذت من تونس قاعدة لحكمها، وفي عهد هذه الاسرة شهدت مدينة تونس وباقي البلاد الخاضة لحكمها استقرار سياسيا واقتصاديا واجتماعيا كان له اثراً ايجابياً على العمارة والفنون المعمارية، وانبرى امراء هذه الاسرة بأنشاء الصروح المعمارية التي توزعت في مختلف انحاد دولتهم، فأحاطوا مدنهم بالاسوار واقاموا القلاع لاغراض دفاعية، وشيدوا الصروح المعمارية ذات الاهمية من الناحية الاجتماعية كالحمامات والمراجل والسبل، كما شيدوا العديد من الجوامع كجامع القصبة وجامع الهواء فضلاً عن الكتاتيب و المدارس .

وتعد المدرسة الشماعية اول مدرسة تشيد في بلاد المغرب العربي عامة وفي تونس خاصة بأمر من الامير الحفصي ابو زكريا الاول التي تميزت بتصميمها الفريد من نوعه فهي تمثل الانموذج الامثل لطراز العمارة الافريقية ذات التأثير الشرقي التي اكتسبت خصائها العمرانية لعصر دولة الموحدين في الاتقان لانجاز التصميمات الهندسة المعبرة عن المبادئ والاتجاهات الحضارية المغربية والتي كان للحضارة الاندلسية اتسمت بطابع رائع عندما صادفت الازدهار الذي حققه الموحدون وارسى قواعد الاشعاع الحضاري لعدة قرون على اساس من المبادئ الذاتية والثقافية والفكرية

المنارة للاستشارات
www.

لقد كان الكثير من الامراء الحفصيين يعظمون العلم و العلماء ويكثرون من التصدق بالاموال الكثيرة على المدارس واهلها، لقد برعم الحفصيون في اقامة نظام سياسي واداري وقضائي وثقافي في دولتهم مكنتهم في الحكم لفترة طويلة وعظم لديهم العمران وانتعشت الحياة الثقافية بجمهور من العلماء و المفكرين والادباء الذين ساهموا في ترقية التراث الاسلامي، ان الدور الذي قام به الامراء الحفصيين في تشجيع العلم ونشره من اشهر العلوم النقلية والعقلية وتطوير العلاقات الثقافية بين الدولة الحفصية ودول الجوار لها والتمازج الثقافي بين المشرق و المغرب .

لقد كانت الاثار الحضارية من مأثر معمارية وفنون تطبيقية للكشف عن عبقريات الاسلام وملكات ومواهب المسلمين .

ان اصالة وتفوق الحضارة الاسلامية بالمغرب الادنى واشعاعها التاريخي وامتدادها الجغرافي اشمل واعم واكثر قيمة اجتماعية .

نشأة الدولة الحفصية

لقد كانت الدولة الحفصية اسبق الدول الثلاث (الحفصية، الزناتية، المرينية) ظهورا واواسعها انتشارا حيث اعلن عن تكوينها رسميا سنة ٦٢٥هـ/١٢٢٧م واستمرت دولة مزدهرة حتى سنة٩٨١هـ/ ١٥٧٤م وظلت كذلك الى منتصف القرن السادس عشر حين استولى عليها الاتراك العثمانيين واصبحت منذ سنة ٩٨١هـ/١٥٧٤م تابعة لهم كما ساعدت الظروف التي مرت بها الدولة الموحدية في ظهور بني حفص كامارة مستقلة . [١]

تعبر الدولة الحفصية شعبة من دولة الموحدين وذلك ان الخليفة الموحدي محمد الناصر بن يعقوب بن يوسف ٥٩٦-٦١٠هـ/ ١١٩٩-١٢٣١م فوضا امر افريقية الى وزيره وصهره الشيخ ابو محمد عبد الواحد بن ابي حفص الهنتاني* ومنحه جميع السلطات التي تخول له حكما مستقلا بهذه الولاية [٢]

ولما زاد عبث بني غانية في منطقة افريقية منح الامير ناصر الموحدي هذه المنطقة الى ابو محمد عبد الواحد بن ابي حفص وذلك في سنة٦٠٣هـ/

---

[١] نجيب زبيب، الموسوعة العامة، ص ٢١، ٢٤،

* كان والياً على أفريقية من قبل الموحدين، بين عامي ٦٠٤ - ٦١٨هـ/ 1207– ١٢٢١ م فكانت مدته ١٤ عاماً وشهرين وعشرين يوماً وهو أول من حكم من العائلة الحفصية، ابن الشماع .الادلة البينة، ص ١٧٦ .

[٢] محمود السيد، تاريخ دول ص ١٢٣

المنارة للاستشارات
www.

١٢٠٦م ويعتبر تعيين ابن ابي حفص هذا اول اقتطاع لاحدى الولايات في جسم الدولة الموحدية لكي تكون امارة حدودية تقف في وجه بني غانية وغيرهم من الطامعين [٣] .

وبحكم مكانة ابي حفص الاجتماعية وحسن اخلاصه للمهدي اعتبر من العشر الاوائل اذا كان يأتي بعد المؤمن في المنزلة في غير منازع ويشترك في الالقاب الرئاسية [٤] .

فقد تمتع بمكانة سامية في دولة الموحدين لسابقتهم في الجهاد وكان لاولاده من بعده هذه المكانة فقد تداولوا الرئاسة وتقلبوا في مناصب الامارة في المغرب و الاندلس [٥]

وقد برهن ابي حفص على كفاءته ومقدرته السياسية و الادارية في جميع الاعمال و الولايات التي تولاها لدولة الموحدين بالمغرب الاقصى و الاندلس، فاستحق عن جدارة ما تبوأه من المقام السامي والاصطفاء بهذه الدولة [٦]

لما قتل الخليفة الموحدي ابو محمد عبد الله العادل بن ابي يوسف المنصور ٦٢١-٦٢٤هـ/١٢٢٤ -١٢٢٧م في مراكش بويع لمأمون بالاندلس بعث الى ابي محمد عبد الله بتونس لياخذ له البيعة على من بها من الموحدين وكان المامون قد فتح امره بالخلاف ودعا لنفسه قبل موت اخيه ابو محمد عبد الله العادل بايام، فامتنع ابي محمد عبد الله ورد رسله اليه فكتب بذلك لاخيه الامير ابي زكريا وهو بمكانه من ولاية قابس * وفي هذه الاثناء خرج ابي زكريا ليعلن عن انفصاله بامر تونس فخلع بني عبد المؤمن ونهض الى قسنطينة * سنة ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨ م وبعدها الى بجاية[٧]

حيت تولى ابو زكريا بن يحيى الحفصي ٦٢٥هـ/١٢٢٩م كانت دولة الموحدين قد وصلت الى درجة كبيرة من الضعف وكان بنو مرين

---

[٣] عبد الواحد ذنون طه، تاريخ المغرب، ص ٣٩٦ .
[٤] صالح ابو ديك، بحوث، ٢٥٩ .
[٥] السيد عبد العزيز، تاريخ المغرب، ٨٧٥ .
[٦] عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر، ص ١٣٨
* بكسر الباء الموحدة ن مدينة بين طرابلس وسفاقس، الحموي، معجم البلدان، ج ٧، ص ٥
* بضم اوله وفتح ثانيه ثم نون وكسر الطاء وياء مثناه من تحت ونون اخرى بعدها ياء خفيفة وهاء، مدينة وقلعة يقال لها قسطنينة الهواء وهي قلعة كبيرة جدا حصبنة عالية لا يصلها الطير الا بالجهد وهي من حدود افريقية، الحموي، معجم البلدان، ج ٧، ص ٥١
[٧] ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ، ص ٣٨٠، وبجاية بالكسر وتخفيف الجيم والف وياء وهاء مدينة على ساحل البحر بين افريقية والمغرب، الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٢٧٠

المنارة للاستشارات
www.

ينازعونهم السلطة في المغرب الاقصى فانتهز ابو زكريا بن يحيى الفرصة واعلن استقلاله باعمال تونس والقيروان عن دولة الموحدين [٨]

عمل الحفصيون على مد نفوذهم ففي البداية كان ابو زكريا بن يحيى الحفصي مواليا لـ يحيى المعتصم بن الناصر الموحدي * في الخطبة واقتصر على ذلك المهدي بن تومرت* وتلقب بالامير وجدد البيعة لنفسه سنة ٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م [٩] وعلى ان تقام الخطبة باسمه وقيل انه اتخذ لنفسه لقب الخلافة على انه وريث عبد المؤمن بن علي الكومي * مؤسس دولة الموحدين واعترفت بسيادته اجزاء من الاندلس التي مزقتها الخلافات ومثلها مدن المضيق في شمالي المغرب ومكناس [١٠]

استقل ابو زكريا بن عبد الواحد بن ابي حفص واستقام له حكم البلاد حيث يعمل على نشر العدل و الامن فيها حتى وفاته سنة ٦٤٧هـ/١٢٤٩م خلفه ابنه محمد الذي اتخذ لقب المستنصر بالله ٦٥٤هـ/١٢٥٦م وتلقب بلقب خليفة وارسل له امير مكة و الحجاز البيعة بالخلافة فاحتفل بها احتفالا مشهودا، وتلقب منذ ذلك التاريخ بلقب امير المؤمنين [١١] وسار في حكم البلاد على نهج ابيه فعم الامن والاستقرار انحاء البلاد وتوفي سنة ٦٧٥هـ/١٢٧٦م [١٢]

---

[٨] الجمل، شوقي، المغرب العربي، ص ٢٧ .

* هو خليفة الموحدين لفترة وجيزة. بايعه أشياخ الموحدين سنة٦٢٤ هـ/١٢٢٧ م وهو لا يزال طفلاً، بعد مقتل عمه عبد الله العادل، عنان، دولة الإسلام، ص ٢٨ ـ ٣٠

* محمد بن تومرت بن نيطاوس بن ساولا ابن سفيون بن الكليس بن خالد، من هرغة إحدى بطون قبيلة مصمودة الأمازيغية المستقرة بالأطلس الصغير بمنطقة السوس الاقصى، اقر الموحدين بإمامة محمد ابن تومرت والتي تشكل ركناً من أركان الدعوة الموحدية نفسها. بدأ دعوته سنة ١١٢١م والتي قامت على فكرة المهدي بن تومرت. دعى قبائل مصمودة إلى مبايعته و كون منهم جيشا قويا جعل على رأسه عبد المومن بن علي للقضاء على المرابطين و لقب أتباعه بالموحدين ووضع بذلك أسس الدولة الجديدة هي الدولة الموحدية. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، الجزء ٦ ص ٢٢٥

[٩] عبد الواحد ذنون طه، تاريخ المغرب، ٣٩٧ .

* كان الخليفة المؤسس لدولة الموحدين وحكمها من العاصمة مراكش من سنة ١١٤٧ م وحتى ١١٦٣ م. تُوفِّي عبد المؤمن بن علي في جمادى الآخرة عام (٥٥٨ هـ/١١٦٣م) بمدينة سلا ، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، الجزء ٦ - ص ١٢٦

[١٠] نجيب زبيب، الموسوعة، ج ٢، ص ٤٢٠، مكناسة بكسر اوله وسكون ثانيه ونون وبعد الالف سين مهملة، مدينة بالمغرب في بلاد البربر الاعظم، الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج ٨، ص ٣٠٦

[١١] شوقي الجمل، المغرب، ص ٢٧ .

[١٢] محمود السيد، تاريخ دول المغرب، ١٢٣ .

المنارة للاستشارات
www.

لقد بايع اهل الاندلس واشبيلية الامير ابو زكريا وقد وجه اليه ابو عبد الله بن الابار * قصيدته السينية التي يستصرحة فيها المسلمين

ادرك بخيلك خيل الله اندلسا ... ان السبيل الى منجاتها درسا

وهب لنا من عزيز النصر ما التمست ... فلم يزل منك عز النصر ملتمسا

ما للمساجد عادت للعدى بيعا ... وللنداء يرى اثناءها جرسا

اجاب الامير ابو زكريا داعيتهم، وبعث اليهم اسطوله مشحونا بالقوات و الاسلحة [١٣] كان بحكم استقرار رؤساء هذه الدولة في حاضرة تونس ان اتخذ ملوكها هذه المدينة عاصمة لدولتهم وحكومتها مستقلة تماما تحت رعاية ملكها الملقب اولا الامير ثم بالخليفة استثارا بهذا اللقب عن ملوك دولة بني عبد المؤمن الموحدية وكانت ولاية الملك فيهم غالبا تكون بالعهد من السلطان السابق، وتارة تكون بالغلبة والقهر [١٤]

كما حافظ بني حفص على عراقة اسلافهم، حيث اقتدى امراء بني حفص بسنن الدولة الموحدية فعملوا بالاصول دون الفروع متاثرين بتعاليم امامهم المهدي بن تومرت وباستعمالهم البربرية الى جانب اللغة العربية الرسمية [١٥]

نسب الحفصيين

يرجع اغلب المؤرخين نسب الحفصيين الى جدهم ابي حفص عمر، وقيل انهم ينتسبون الى حفصة بنت الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) وبفضل انتساب الحفصيين الى قريش وانتسابهم الى

* أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن القضاعي البلنسي المعروف بابن الأبار (١١٩٩ - ١٢٦٠م، ٥٩٥ هـ - ٦٥٨ هـ)
مؤرخ وشاعر أندلسي ولد بلنسية بالأندلس، وسط أسرة ذات نفوذ من قرية أندة. دخل في خدمة بني عبد المؤمن، وفي ٦٣٥ هـ أوفده زيان بن مردنيش إلى أبي زكريا الحفصي سلطان تونس الذي دخل في خدمته فيما بعد رحل عن بلنسية لما احتلها الإفرنج استقر بتونس ودخل في خدمة أبو زكريا ولما مات أبو زكريا خلفه ابنه المستنصر فرفع مكانته، احمد عطية، القاموس الإسلامي، مج ١، ص٦.

[١٣] السيد عبد العزيز، تاريخ المغرب، ص ٨٧٧ .

[١٤] عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر ج ٢، ص ١٠

[١٥] صالح ابو ديك، بحوث، ص ٢٦ .

المنارة للاستشارات
www.

الرسول محمد(صلى الله عليه و اله وسلم) وقرابتهم من الموحدين استطاعوا ان يكسبوا حكمهم بصفة الشرعية [١٦]

وتذكر بعض المصادر التاريخية ان الحفصيون ينحدرون من نسل الشيخ ابي حفص عمر بن يحيى الهنتاني الذي يعود نسبه الى عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) وكان من رجالات الدولة الموحدية وضمن الطبقة الاولى في نظام المهدي بن تومرت [١٧]

كما تذكر المصادر التاريخية ان ملوك تونس هؤلاء من نسب هنتانة وهم فرع من اصل مصمودة واحدة من خمس قبائل كبرى في افريقيا ويسمون بالحفصيين [١٨]

بينما هناك من يرجع اصل الحفصيين بانه مرتبط بالموحدين منذ البداية وكان في مقدمة العشرة ابو حفص عمر الهنتاني وان الاسم و الكنية منحها اياه المهدي ابن تومرت [١٩]

الحدود الجغرافية للدولة الحفصية

كان اقليم تونس يسمى افريقية وبه كانت في القديم مدينة قرطاجنة* ويحده من جهة الغرب اقليم قسنطينة ومن جهة الشرق اقليم طرابلس * ومن الجنوب جبال الاطلس واقليم الزاب وجزء من نوميديا وليبيا اما من الشمال فيحده البحر المتوسط [٢٠]

---

[١٦] حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام، ج ٤، ١٩٩٦، ص ٣٠٣

[١٧] د. عبد الواحد ذنون، تاريخ المغرب، ص ٣٩٥ .

[١٨] مارمول، افريقيا، ج ٣، ص ٢٨ .

[١٩] غلاب عبد الكريم، قراءة جديدة، ج ٢، ص ٢٢٧ .

* بالفتح ثم السكون وطاء مهملة وجيم ونون مشددة وقيل ان اسم هذه المدينة قرطا واضيف اليها جنة لطيبها ونزهتها وحسنها، وهي بلد قديم من نواحي افريقية، الحموي، ياقوت، معج البلدان، ج ٧، ص ٣١ .

* نشأت طرابلس فى القرن السابع قبل الميلاد زمن الفينيقيين حيث كانت محطة تجارية وسوق لتصريف المواد الأولية من إفريقيا السوداء، واستمر دور هذه المدينة في مجال التبادل بين الشمال والجنوب، فامتد اتصالهم باتجاه الجنوب ليغطي مجموعة أقطار" إفريقيا "بلاد السودان. وفي عام ٦٤٥م فتحها العرب المسلمون زمن خلافة عمر بن الخطاب، وبقيت المدينة تحت الحكم العربي بعد ذلك، مقالة منشور عبر الانترنت على الموقع https://ar.wikipedia.org/wiki تاريخ الزيارة ٢٠١٨/١/٢٦

[٢٠] مارمول، افريقيا، ج ٣، ص ١٦ .

المنارة للاستشارات
www.

ومن التسميات التي اطلقت على هذه المنطقة ايضا اسم المغرب الأدنى[٢١] لموقعها الى دار الخلافة .

كان لموقع تونس الجغرافي وبروزها في البحر المتوسط الى جانب طرقها الساحلية التي تربط بقية اقطار المغرب بالمشرق كان له اثره في ان ظلت تونس منذ عصور ما قبل التاريخ منطقة التقاء وتقابل لانها في مفترق الطرق اغلب القوى التي سيطرت او حاولت السيطرة على بلاد المغرب اتخذت من تونس قاعدة لها لانها تواجه الحوضين الشرقي و الشمالي للبحر المتوسط . [٢٢]

المدارس في الدولة الحفصية

ان انشاء المدارس ارتبط ارتباطا وثيقا بالوضع السياسي و الاقتصادي والاجتماعي التي تكون عليه مختلف البلاد، فاذا كانت الفترة متسمة بالرخاء والازدهار تكون انذاك الحظوظ اوفر لانشاء مدرسة او اكثر على خلاف اذا ما كانت الاوضاع غير مستقرة لا سيما سياسيا او اقتصاديا التي تؤثر بالتالي على الجانب الحضاري ومنها المعماري [٢٣]

ولما كان انشاء المدارس في المشرق يخدم هدفا سياسيا بعيدا وهدفا تعليميا قريبا كذلك كان الامر بالنسبة لا انشاء المدارس في بلاد المغرب اذ قامت مدارس موحدية في ايام عبد المؤمن بن علي هدفها تخريج موظفين حكوميين متشبعين بالمبادئ و الاراء الموحدية ودعم مركز الموحدين [٢٤]

فالمدارس في تونس تنقسم الى قسمين مدارس ذات طابع رسمي والتي اسست من قبل اشخاص ينتمون الى النظام الحاكم كالسلاطين والامراء و الاميرات كمدرسة (الشماعية) موضوع بحثنا واخرى مدارس خاصة مؤسسة من قبل بعض الخواص من المتصوفة وقواد الجيش وميسروي الحال . [٢٥]

---

[٢١] ومن أهم مدنه القيروان، تونس، الزاب، طنبة، قسنطينية، باغاية، منتجس، المسيلة، سطيف، بلزمة، بسكرة، نفزة، طلحة اربة، قفصة، نفطة، طولقة، توزر، فقصة، نفزاوة، اربس) اليعقوبي البلدان، ص٣٣٩، البكري، المغرب،ص ١٥ ؛ الادريسي صفة المغرب ص ٨٦ ، ٧٧٦ ؛ابن خلكان، وفيات الأعيان ج١، ص ٣٦ ؛ الحموي، معجم البلدان ج ١، ص ٥١، ٥٥ ١٢٤ ١٣٦، ١٧٦ السلاوي، الاستقصا، ج ١، ص ١٦١ الترمانيني، أزمنة التاريخ، مج ٢ ج ١، ص ١٠٢٦.

[٢٢] احمد اسماعيل، تاريخ اقطار المغرب، ص ٨٧،

[٢٣] بن مامي، مدارس تونس، ص ٢٨٥

[٢٤] القابسي، المعاهد و المؤسسات التعليمية، ص ١٨٨ .

[٢٥] بن مامي، مدارس تونس، ص ٢٨٤

المنارة للاستشارات
www.

لقد شجع ابو زكريا بن يحيى المدارس على تدريس الفقة المالكي واصبحت تلك قاعدة اتبعها مدارس المغرب، لذلك ذكرت المصادر التاريخية ان المدارس في المغرب كانت كما في الشرق مدرسة حكومية نسبية تنشر المذهب الذب ارتضته الدولة وتعد للتاهيل لكل الوظائف العامة الدينية والشرعية و القضائية

ونظرا لانتشار المذهب المالكي بافريقية فان مدارس تونس حبست خلال فترة حكم الدولة الحفصية على هذا المذهب فقط وتواصلت سيطرته على المدارس حتى قدوم الاتراك العثمانين [٢٦]

واتسمت المدارس الحفصية بانها كانت مفتوحة ليلا ونهارا ولم تقتصر على القاء الدروس واجتماع الطلبة في حلقات حول شيوخهم وضمت مكانا لمبيت الطلاب الطلبة خاصة الوافدين عليها من الخارج وعين عليها فيها شخص يتولى ادارة شؤونها [٢٧]

لقد لقيت الحركة التعليمية اهتماما واقبالا ملحوظا لدى المدارس التونسية وكان الاقبال متزايد على العلوم الانسانية والدينية كالفلسفة والمنطق والجدل والتاريخ والفرائض .[٢٨]

وغدت تونس مركزا عظيميا من مراكز الفكر و الفن، وهذا بفضل بني حفص الذين ادخلوا اليها نظام المدارس في التربية و التعليم وهو النظام الذي كان معروفا قبل ذلك في المشرق [٢٩]

لقد كان الخلفاء والامراء الحفصيين يولون عناية كبيرة بشأن دولتهم،، ويذكر المقري في كتابه ازهار الرياض في اخبار القاضي عياض عن تمجيد لامراء الحفصيي بسبب انجازاتهم الثقافية بقوله " اللهم ان الايالة الحفصية قد اعليت مظاهرها نصرت معاشرها قصرت على المصالح الدينية والدنيوية مواردها ومصادرها ثم اصطفيت من شرف بينها الصراح ومعدن مؤددها الوضاح مولانا الامير الاجل المؤيد البارك ابا عبد الله فانتضيته حساما في يدك قائمة وارتضيته اماما لا تلين في ذلك صرائمة" [٣٠]

ولقد كانت للهجرة الاندلسية لبلاد المغرب عامة وتونس خاصة اثار ايجابية على جميع الاصعدة وخصوصا الثقافي و الفكري وذلك لما حملوا

---

[٢٦] القابسي، المعاهد و المؤسسات التعليمية، ص ١٨٩ .
[٢٧] علاوة عمار، مغرب اوسطيات، ص ١١٠
[٢٨] بن مامي، مدارس تونس، ص ٢٨٥
[٢٩] شاكر مصطفى، موسوعة دول، ص ٥٧٤
[٣٠] ص ٥٧٤

المنارة للاستشارات
www.

معهم من الاندلس فوقع تمازج بين الافكار واصبحت بنفس جديد كما اشتغل المهاجرين الاندلسيين في مجال التعليم في المغرب الادنى بغرض الارتزاق منه، فتغيرت طرق التعليم ومناهجه [٣١]

لقد عرفت المدارس التونسية في العهد الحفصي شهرة واسعة وذلك لما كان بها من نشاط علمي وادبي، ولقد بنيت اقدم مدرسة بافريقيا الشمالية، اذا ما استثنينا المدارس الموحدية الموجودة داخل القصور حوالي سنة ٦٨٣هـ/ ١٢٤٠ م حسب الاحتمال في تونس كما ذكرها لنا المؤرخون [٣٢]

المدرسة الشماعية

لهذه المدرسة تاريخ حافل جعل منها مدرسة هامة في وقتها فقد كان العهد الحفصي على مستوى علمي يضاهي مستوى اهم الجامعات العلمية فقد كان شيوخها يختارون من بين كبار العلماء والمدرسيين ولم يكن للمدارس الاخرى نفس المستوى الذي كانت عليه الا لبعض منها (التوفيقية، العنقية، المنتصرية) فقد تنافسوا على نيل منصب التدريس بالشماعية نظرا لاهميتها العلمية والعملية التي تدر على شيوخها الشرف الذي يلحق بهم جراء التدريس بها [٣٣]

مؤسس المدرسة الشماعية :

أسست هذه المدرسة على يد الامير ابو زكريا بن يحيى محمد عبد الواحد بن ابي بكر بن ابي حفص عمر الهنتاني وكان ابو حفص عمر احد الرفاق الاوائل للمهدي بن تومرت ولد في مراكش سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٠م[٣٤] وبدا حياته السياسية في سن مبكرة بولاية اشبيلية ثم عينه اخو ابو عبد الله الذي ولي افريقية على راس مدينة قابس وكان ذلك سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٦م،ثم خلف اخاه في الحكم، ومثلت الفترة الاولى لحكمه ٦٢٥ – ٦٣٤ هـ / ١٢٢٧ – ١٢٣٦ م فترة حروب وضم فيها العديد من المقاطعات الشرقية [٣٥] اليه وقضى على اغلب الثورات [٣٦] ام الفترة الثانية التي تبدأ انطلاقا من سنة

---

[٣١] علاوة عمار، مغرب اوسطيات، ص ١٠٧
[٣٢] روبار، تاريخ افريقيا، ص ٣٨٦ .
[٣٣] بن مامي، مدارس تونس، ص ٧٥ .
[٣٤] الزركشي، تاريخ الدولتين، ص ٣٢ .
[٣٥] م، ن، ص ٢١ .
[٣٦] ابن خلدون، العبر، ج ٦، ص ٥٩٦ .

المنارة للاستشارات
www.

٦٣٦هـ/١٢٣٨م وتستمر حتى سنة وفاته سنة ٦٤٧ه/١٢٤٩م فقد اتسمت بالرخاء والاستقرار والسلم [٣٧] .

ولتدعيم اسس الدولة الحفصية وارسائه لسس دولته اسس ابو زكريا بن يحيى عدة منشأة دينية [٣٨] كما اهتم ايضا بالجوانب العسكرية واحياء الحياة الاقتصادية واهتم بالحركة الثقافية [٣٩] .

استطاع الامير ابو زكريا بن يحيى ان يقوم بكل هذه الاعمال نتيجة لعدة اعمال من بينها الثراء الذي اصبحت عليه دولته [٤٠] ورغم ثرائه وقوته كانت المصادر تصفه بالتقشف والبساطة في عيشه [٤١]

توفي ابو زكريا بني يحيى بعد ان ارسى الدولة الحفصية سنة ٦٤٧هـ/١٢٤٩م ودامت حكمه اثنين وعشرين سنة [٤٢]

تاريخ تاسيس المدرسة الشماعية :

لم تذكر لنا المصادر التاريخية تحديد سنة بناء المدرسة الشماعية الا ان روبار بروفشيك ذكرها في كتابه تاريخ افريقيه في العهد الحفصي انها اسست حوالي ما بين سنتي ٦٣٤ – ٦٤٧ هـ / ١٢٣٦ – ١٢٤٩ م وهي فترة السلم التي سادت البلاد [٤٣] .

الا ان الزركشي في كتابه تاريخ الدولتين يؤكد ان بناؤها بعد سنة ٦٣٩هـ/١٢٤١م حيث اصبحت الدولة الحفصية قوية [٤٤] وهو الوقت المناسب الذي يتجه به للبناء والتشيد طوال هذه الفترة التي يرجح ان المدرسة الشماعية بنيت خلالها وان ابا زكريا بن يحيى اصبح بداية هذه الفترة يفكر في اعطاء دولته وزنا اكبر ولغرض تدعيم المذهب الموحدي الذي مثل دعامة دولته وهكذا اسس في تلك الفترة مدرسته الشماعية [٤٥] .

---

[٣٧] الزكشي، تاريخ الدولتين، ص ٢٥ .
[٣٨] م، ن ، ص ٢٦ .
[٣٩] ابن الشماع، الادلة البينة، ص ١٠٠ .
[٤٠] م، ص ، ن ٤٦ .
[٤١] ابن قنفد، الفارسية، ص ١٤٨ .
[٤٢] ابن الشماع، الادلة البينة ، ص ٥٠ .
[٤٣] ص ٢٧٣
[٤٤] ص ٢٩ .
[٤٥] بن مامي، محمد الباجي، مدارس تونس ، ص ١٣٣ .

المنارة للاستشارات
www.

موقع المدرسة الشماعية :

توجد هذه المدرسة في موقع هام، فهي قرب الجامع الاعظم من ناحيته الشمالية، ولا يفصلها عنه الا قسم من سوق البلاغجية * ولا يتجاوز طوله مائة متر ومن جهة اخرى يواجه المدرسة في الوقت الحاضر معلم ديني هام وهو جامع حمودة باشا المراد المنسوب اليه وهو الذي يوجد في شمالي الشماعية والمؤسس سنة ١٠٦٦هـ / ١٦٥٥م ويبعد مدخله الواقع في الجهة الشمالية الشرقية عن مدخل المدرسة حوالي ثلاثين مترا

اما الناحية الشرقية للمدرسة فتوجد فيها دكاكين لبيع الاحذية كما بنيت فيما بعد المدرسة العصفورية بعد مدة وجيزة من بناء الشماعية لا يتجاوز الربع قرن وبجانب هذه المدرسة صف يلاصق الجدار الجنوبي الغربي للمدرسة الشماعية قسم من الجدار الشرقي للعصفورية .

وهكذا نرى ان المدرسة الشماعية تمتاز ببساطتها وهي البساطة التي عرفت بها العمارة الافريقية في العهد الحفصي فقد كان ابو زكريا بن يحيى موصوف بالتقشف والبساطة في معيشته وعكس هذا على مدرسته التي تكاد تخلو من الزخارف وان جمالها من عناصر البناء نفسها [٤٦]

المدرسون في المدرسة الشماعية :

تزخر المصادر باسماء مدرسين كثيرين درسوا بها وهي ظاهرة لا تتكر بالنسبة الى المدارس الاخرى، ولا شك ان هذا يدل على اهمية هذه المدرسة التي يمكن مقارنة مستواها العلمي ايام حكم الدولة الحفصية، وان اغلب شيوخ الشماعية درسوا قبل التدريس فيها او بعده في ان واحد بمدرسة اخرى او اكثر .

وهي ظاهرة منتشرة بين جميع المدرسيين الذين تولوا التدريس في عدة مدارس وذلك حسب مشيئة صاحب السلطة، وقد اختير اغلب شيوخ الشماعية من بين قضاة الجماعة وائمة جامع الزيتونة * ولم يصلنا اسم اول

---

* أي سوق بائعي البلغة، وهي نوع من النعال العتيقة سوق يقع بمدينة تونس العتيقة، بُني في عهد الحفصيين، وكان يسمى في عهدهم سوق الشمّاعين أي سوق بائعي الشمع، مقالة منشورة عبر شبكة الانترنب علي الموقع https://ar.wikipedia.org/wiki تاريخ الزيارة ٢٠١٨/١/٢٦

[٤٦] بن مامي، محمد الباجي بن، مدارس تونس، ص ١٣٣ .

* هو المسجد الجامع الرئيسى فى مدينة تونس العتيقة فى تونس العاصمة فى تونس، وأكبرها وأقدمها ويدرس على المذهب المالكي. تأسس في ٦٩٨ (٧٩ هـ) بأمر من حسان بن النعمان وأتمه عبيد الله بن الحبحاب ويعتبر ثاني أقدم مسجد في تونس بعد جامع عقبة بن نافع،

المنارة للاستشارات
www.

من تولى خطة التدريس بالشماعية ويعد بحسب المصادر التي ذكرت اسم اول شيخ درس فيها هو ابن البراء التنوخي * ومن الممكن ان يكون القاضي ابا القاسم بن زيتون* هو الذي تولى المدرسة من بعده اذ لا نتملك المعلومات حول السنة التي بدأ فيها التدريس بالشماعية الا انه من الممكن تولاها حتى اخر حياته (٤٧)

ومع بداية سنة ٦٩١هـ/١٢٩١م انفرد بالمدرسة الشماعية ابن قداح * ت ٧٣٤هـ/١٣٣٣م ولا تذكر لنا المصادر اي مدرس اخر تولى المدرسة الشماعية حتى سنة ٧٨٥هـ/١٣٨٣م اذ تشير المصادر ان ابا المهدي عيسى الغربيني * قد نصب للتدريس بالشماعية وعين قاضي الجماعة سنة ٧٨٥هـ/١٣٨٣م (٤٨)

ومن الادلة على اهمية هذه المدرسة واهتمام النظام الحاكم بها تدريس محمد الحسين احد افراد العائلة الحفصية بها وحتى وفاته سنة ٨٣٩هـ/١٤٣٥م وبعدها نصب السلطان ابو عمر عثمان قاضي الجماعة ابي

مقالة منشور عبر شبكة الانترنت على الموقع https://ar.wikipedia.org/wi/ تاريخ الزيارة ٢٠١٨/١/٢٦

* قاضي الفقيه أبو محمد عبد الله ابن الشيخ محمد بن أبي القاسم بن البراء التنوخي :كان خليفة في الإمامة والخطابة بجامع الزيتونة عن الشيخ محمد بن عبد الستار، أخذ عن جماعة منهم جده أبو القاسم وعنه جماعة منهم خالد البلوي... كان يجلس لرواية مقامات الحرير بدويرة جامع الزيتونة وكانت له عناية بالرواية والتاريخ، اختصر ذيل السمعاني وتاريخ الغرناطي وألف تاريخا على طريقة الطبري مرتبا على السنين من سنة البعثة في ستة أسفار أجاد وأفاد وتوفي فى تونس فى جمادى الآخرة سنة 737هـ .وكان من مدرسى مدرسة الشماعية.، مقالة منشور عبر شبكة الانترنت على الموقع https://ar.wikipedia.org/wiki/ تاريخ الزيارة ٢٠١٨/١/٢٦

* أبو الفضل أبو القاسم بن أبي بكر بن زيتون، تلقى في أوّل تكوينه العلمي ثقافة فقهية دينيّة تقليديّة، غير أنّه سرعان ما حذق أصول علم المنطق وقرأ كتب الفلاسفة والصّوفية وغلبت على اهتمامه مباحث الحكمة. وبعد انقراض الدولة بمرّاكش ارتحل إلى المشرق من إفريقية القاضي أبو القاسم بن زيتون لعهد المائة السابعة... فأدرك تلاميذ ابن الخطيب، فأخذ عنهم وأتقن تعليمهم، وحذق في العقليات والنّقليات، مقالة منشور عبر شبكة الانترنت على الموقع /http://www.mawsouaa.tn/wiki

(٤٧) بن مامي، محمد الباجي، مدارس تونس، ص ١٣٦ .

* هو الشيخ أبو علي عمر بن قداح الهواري، حافظ المذهب المالكي ومفتيه، ولي قضاء الأنكحة وتدريس المدرسة الشماعية، فأدركته المنية عام ٧٣٤هـ، مقالة منشور عبر شبكة الانترنت على الموقع http://fiqh.islammessage.com تاريخ الزيارة ٢٠١٨/١/٢٦ .

* امام جامع الزيتونة ت ٨٤٥هـ، مقالة منشور عبر شبكة الانترنت على الموقع http://shamela.ws/index.php/author/ تاريخ الزيارة ٢٠١٨/١/٢٦

(٤٨) بن مامي، محمد الباجي، مدارس تونس، ص ١٣٧

المنارة للاستشارات
www.

القاسم القسنيطي* ولما وافاة الاجل عين في منصبه الشيخ البحيري* وبعد وفاته عين ابو العباس القلشاني* الذي دام تدريسه بالمدرسة الشماعية ست سنوات وعند وفاته اتي بالشيخ الزنديوي * للتدريس بها (٤٩)

بعض من طلبتها :

مدتنا المصادر ببعض اسماء الطلبة اللذين سكنوا المدرسة الشماعية ووصلوا هم ايضا بفضل اساتذتهم الى درجة عالية من العلم ومنهم ايام الحفصيين الامام الرماح وابن ناجي التنوخي (٥٠)

الناحية الفنية و المعمارية للمدرسة الشماعية :

تعتبر هذه المدرسة من اهم المدارس في تونس اذا امتازت عن غيرها ببعض الخاصيات اهمها مدرجها العالي الذي يصعد عن طريقة الى المدخل، وكذلك احتواؤها على طابيقين في كل منها مسجد وهي تقع على مساحة شبه مربعة مقدارها ٣١٠ متر مربع الا ان جدارها الشرقي منحرف نتيجة لانحراف سوق البلاغجية الملاصق لها ويفصلها عن سوق ممر مسقف بقبو برميلي يوجد في اول الزقاق (٥١)

المدخل:

يتكون مدخل المدرسة من مدرج صعوداً من تسع درجات ولاعطاء اهمية اكبر لمدخل المدرسة حلي بعقد المدرج الذي يصعد عن طريقه الى باب المدرسة، ومن الممكن انه حصل خلل ما، فاضيف قوساً كي يستند الجدارين المتناظرين للمدخل ثم يلي المدرج باب خشبي يمتاز بالبساطة

---

* ابو الفضل قاسم القسطنطيني بن سالم الوسناتي، ولي قضاء الجماعة والامامة بجامع الزيتونة، الزركشي، تاريخ الدولتين ص ١٢٨ – ١٤٠ .

* ابو محمد عبد الله بن سليمان بن قاسم البحيري، سافر مع ابيه ودرس بالاندلس على يد كثير من العلماء، الزركشي تاريخ الدولتين، ص ١٣٥ -١٤٠ .

* أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد أبو العباس القلشاني التونسي، ابو العباس القلشاني من بيت القلشانيين، وهو بيت علم شهير بتونس، له قدم راسخ في المذهب المالكي، توفي بتونس سنة (٨٦٣هـ)، مقالة منشور عبر شبكة الانترنت على الموقع http://www.alfiqh.ma تاريخ الزيارة ٢٠١٨/١/٢٦

* لم اعثر على ترجمه له

(٤٩) بن مامي، محمد الباجي، مدارس تونس، ص ١٣٨ .

(٥٠) بن مامي، محمد الباجي، مدارس تونس، ص ١٣٨، ابن ناجي التنوخي ت ٨٣٧هـ/ فقيه في القضاة من اهل القيروان تعلم فيها وولى القضاء في عدة اماكن، مقالة منشور عبر شبكة الانترنت على الموقع http://shamela.ws/index.php/author تاريخ الزيارة ٢٠١٨/١/٢٦

(٥١) بن مامي، محمد الباجي، مدارس تونس، ص ١٤٢ .

المنارة للاستشارات
www.

وذات ابعاد ١,٥٠ م عرضا وارتفاع ٢,٨٧م كما يحيط به اطار مضاعف يبلغ الاول من العرض ٥٩ سم وفقراته متفاوتة الحجم يحيط به افريز * مقعر عرضه ١٠ سم وان كانت العضدتان متاونة من مادة الكذان *فان الاسكفة رخامية ويمتاز الاطار الثاني ببروزه لبالنسبة الى الاول – ويبلغ عرضه ٣٢ سم كما يعلو كلا هاتين العضادتين الثانينين غربان كبير الحجم من النوع الافريقي يحدان عقدا افقيا مكونا من فقرات مشعة (٥٣)

ومما تجدر الملاحظة اليه ان المدرسة قد بنيت بطابقين في كل منها مسجد، كما ذكرنا سابقا الا ان المصادر التي اطلعنا عليها لم تشر الى وظيفة المسجد العلوي هل بني منذ التاسيس ام اضيفت فيما بعد على توالي السنوات في العهد الحفصي ومن بعده، اما الغرض من ايجاده ايضا لم تشر المصادر الى ذلك، وبحسب اطلاعنا ان غالبية المساجد التي تنشى بطابقين يكون استخدامه اما للنساء او لتعليم الصبيان لعزل ضوضائهم عن مسجد صلاة الرجال .

السقيفة :

يؤدي الباب الى سقيفة منحنية الى ذات اليسار ومستطلية الشكل يصعد اليها عن طريق درجة واحدة اما على اليسار الداخل فتوجد طاقة صماء يعلوها قوس نصف دائري واسفلها متكون من دكانه صغيرة الحجم كسيت بثلاث لوحات من الكذان كما يجلب في الجدار الشرقي عقد منبطح بينما يتكون السقف من قبو برميلي (٥٤)

الصحن :

تؤدي السقيفة الى صحن شبه مربع يصعد اليه عن طريق درجة واحدة وطوله اكثر من عمقه بقليل وتحيط به من جهاته الاربع اروقة تطل منها

---

* شريطٌ بارز يُشكل حسب صورة هندسية معينة على جدران المباني فيمكن أن يكون انسيابي أو منقوشاً مع زينة ذات أشكال نباتيّة ومنمقة أو هندسيّة، وغالباً ما يتكرر على امتداد أجزاء المبنى، يستخدم في الزخرفة المعمارية والأثاث والديكور بالإضافة إلى وظيفة الإفريز الجمالية، فإنه يُمكن استخدامه أيضاً لتوضيح نسب وتناسب واجهة المبنى، وعادةً ما يكون -كما في الأعمدة الكلاسيكية- مُجَزّئة إلى ثلاثِ نسبٍ هي القاعدة، والجذع، والتاج مقالة منشور عبر شبكة الانترنت على الموقع https://ar.wikipedia.org تاريخ الزيارة ٢٠١٨/١/٢٦

* حجارة فيها رخاوة وربما نخرة، مقالة منشور عبر شبكة الانترنت على الموقع https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar تاريخ الزيارة ٢٠١٨/١/٢٦

(٥٣) بن مامي، محمد الباجي، مدارس تونس، ص ١٤٣ .

(٥٤) م، ن ، ص ١٤٤ .

المنارة للاستشارات
www.

بوائك * تحتوي كل منها على ثلاث عقود على شكل حدوة فرس متكونة من مادة الكذال اغلبها متساوية الحجم ويحيط بها افريز ثاني مقعر ويستند مسقط العقد على وسادة مستطلية الشكل ٤٣ – ٣٥ سم وتتجاوزه في العرض يبلغ مسقط العقد وهي محمولة على تاج من الطراز الحفصي اطوالها بين ٣١ – ٣٣ سم يتحوي كل منها على .

تتكون الاعمدة من مادة رخامية وهي نفس المادة التي صنعت منها التيجان ويبلغ قطر كل عمود وارتفاعه ١,٩٠ م وتفتقر الى قواعد ماعدا عمود واحد شذ عن المجموع [٥٥]

الغرف :

يبلغ عدد الغرف المحيطة بالصحن ست عشرة غرفة موزعة على الواجهات الاربعة يحتوي الرواق الشرقي على اربع منها طمس مدخل اولاها انطلاقا من الجنوب وعوض بنافذة فاصبحت تشكل غرفة واحدة مع جارتها، كما توجد في اخر هذا الجدار الشرقي على غرفتين على يسار الداخل، بينما يحتوي الجدار الغربي على اربع غرف ويمتاز الجدار الجنوبي باحتوائه على المسجد الذي يحده يمنيا وشمالا ممران لكل منهما غرفتان ويحد هذا الجدار على اليمين مشكاة تحتضن البئر وعلى الشمال طاقة صماء، نتج تفاوت ابعاد الغرف عن انحرافات الجدارن وتتمتع الغرف الواقعة في الرواق الغربي بنوافذ مطلة على الخارج، وكذلك نفس الشيئ بالنسبة الى الغرفة الاولى فهي مكتوب من اقبية برميلية واتسمت اطر الابواب التي يبلغ عرض كان عضاداتها ٥٠ سم، ببساطة شكلها ويحيط بمل منها افريز ناتي ومقعر، بينما لاسكفة قسم غائر يحده شريط بارز [٥٦]

ان اساس البناء او عمارة المدرسة قد اصابها التغير و التحوير طبقا للفائدة الموتجاه منها او نتيجة لتغير البناء بسبب عوامل التقادم الزمني .

اواوين المدرسة:

ينطبق هذا الوصف على جميع الاطر الداخلية، باستثناء اطار الايوانيين اللذين يتوسطان الجدار الشرقي والجدار الغربي، ولعل اهم ما يمتاز به صحن المدرسة الشماعية هو احتواؤه على واجهة هذين الايوانين اللذين

* وهي سلسلة من العقود التي عادة ما تطوق الصحن او الفناء، وقد تميزت بها كل معالم العمارة الاسلامية من المساجد الكبيرة حتى البيوت الصغيرة وعولجت واجاتها بغناء الزخارف او الساذج منه،د. علي ثويني، معجم عمارة الشعوب، ص ١٣١ .

[٥٥] بن مامي، محمد الباجي، مدارس تونس، ص ١٤٥ .

[٥٦] م، ن، ص ١٤٦ .

المنارة للاستشارات
www.

طمس كل منهما قبل سنة ١٩٨١ بجدار قسم الى غرفتين تضيء كلا منهما كوة * تعلو الباب، الا انه اعيد لهذين الايوانين طابعهما الاصلي اثر الترميم الحاصل خلال اواخر الثمانيات القرن المنصرم وتبلغ فتحة الاطار ١,٩٠ م وارتفاعه ٣,٢٢ م وينقسم الى قسمين قسم اعلى يتوسطه عقد حدوي مكون من عدة فقرات رخامية متناوبة بيضاء واسود ويحيط به افريز انيق الصنع من نفس النمط الذي لا حظناه في البوائك اما كوشتا العقد فيحيط بهما خزغائر على شكل مثلث، ثم قسم اسفل حامل للقسم الاعلى متكون من عضادتين عرض كل منهما ٤٣ سم يحدده نفس الافريز الذي ينتهي في اعلى لبعضادة بشكل وسادة [٥٧]

مدخل المسجد :

يختلف باب المسجد الذي يوجد قبالة الداخل الى الصحن عن بقية الابواب الاخرة بعظمته فعرض فتحة تبلغ ١,٦٥م وارتفاعها ٣,١٢ م وقد حلي بصفوف من المسامير المتوازية .

تحد مدخل المسجد يمنينا وشمالا مشكاتان طويلتان مسطحتا العمق ويعلو كلا منها قوس مفصص كما يحيط بكل فص فوس وهما يناظران مشكاتين اخرتيتين تحدان مدخل السقيفة بالجدار الشمالي [٥٨]

مساحة المسجد:

ويبلغ سمك جدار المسجد ١,٣٥ م وهو يمثل ظاهرة لم نعثر عليها في اي مدرسة من المدارس الاخرى وللمسجد اسكوب واحد طوله اكثر من عمقه ٥,٢٠ × ٣,٢٠ م ولولا احتواؤه على المحراب لكان مثل شكل غرفة اكثر مما هو بيت للصلاة، وعلى يمين الداخل وشماله توجد طاقتان صغيرتا الحجم .

اما المحراب الذي يبلغ عرض فتحته ١,٣٠ م فيتكون اطاره من عقد حدوي ذي فقرات حجرية الا اننا لم نتبين منها شيئا نظرا لسمك الطبقات الجيرية التي تغطيها، ويحيط به افريز مقعر يواصل احاطته بكامل الاطار وبالعضادتين الحاملتين للعقد، وهو يلعب دور الفاصل بين مسقط العقد و العضادتين، كما يفصل ايضا بين الطاقية ذات الشكل النصف كروي، والقسم الاسفل الذي يتخذ شكلا نصف اسطواني، ويتبين اثر عملية الترميم ان قوس

* خرق فى الجدار، ثلمة، فتحة، نافذة للتهوية و الاضاءة ونحوهما، مقالة منشور عبر شبكة الانترنت على الموقع https://www.almaany.com تاريخ الزيارة ٢٠١٨/١/٢٦

[٥٧] بن مامي، محمد الباجي، مدارس تونس، ص ١٤٧ .

[٥٨] م، ن ، ص ١٤٨ .

المنارة للاستشارات
www.

المحراب متكون من فقرات متناوبة بيضاء وسوداء وانه كان مكسوا بطبقة سميكة من الجير [٥٩]

الطابق العلوي ك

ياخذ المدرج الذي يؤدي الى الطابق العلوي شكلا ملتويا وهو يوجد في الجدار الشمالي على يمين الداخل – ويبلغ عدد درجاته ثلاثا وعشرين[٦٠]

ان تصميم هذا الطابق العلوي يختلف عن الطابق السفلي فاروقته لا تحيط بها اعمدة بل دعمت بدعامات ويحيط بها درابيزان * متكون من اعمدة حديدة ويحيط باعلى جدار الصحة سياج من الخشب مكون من اغربة، يعلوها فرميد اخضر [٦١]

غرف الطابق العلوي:

تحيط باروقة هذا الطابق غرف عددها تسع عشرة، خمس منها بالرواق الشرقي، كما يحتوي الرواق الغربي هو الاخر على خمس غرف، وتعلو المراحيض نفس المكان الذي لاحظناه بالنسبة الى المراحيض الطابق السفلي، فهي تحتل الزاوية الشمالية الغربية للطابق العلوي

وتطل من الرواق الشمالي اربع غرف تؤدي اخرها شرقا الى غرفة اخرى توجد في الزاوية الشمالية الشرقية

ويختلف الرواق الشمالي عن الاروقة الاخرى اذ نجد على يمين المسجد ممرا يحتوي على غرفتين وكذلك نفس الشيء على يساره، و الاختلاف الوحيد الحاصل بين غرف الطابقين بصفة عامة يتمثل في ابعادها التي تختلف عن بعضها وكذلك في نوعية سقوفها التي تتكون من اللوح ذي الجوائز البارزة ولاغلب هذه الغرف نوافذ مطلة على الخارج ما عدا الغرف الموجودة في الرواق الغربي [٦٢]

---

[٥٩] م، ن،، ص ١٤٩ .

[٦٠] بن امامي، محمد االباجي، مدارس تونس ، ص ١٥٠ .

* أي أعمدة محدودَبة ومصطفّة يعلوها متكَأ، مقالة منشورة عبر الانترنت على الموقع https://ar.wikipedia.org/wiki تاريخ الزيارة ٢٠١٨/١/٢٦

[٦١] بن مامي، محمد الباجي، مدارس تونس، ص ١٥٠ .

[٦٢] م، ن، ص ١٥٠ – ١٥١ .

المنارة للاستشارات
www.

المسجد الثاني:

يتوسط واجهة هذا المسجد الثاني باب رئيس يحيط به اطار رخامي محلى في طرفه بافريز مقعر ويحيط بهذا الباب الرئيسي بابان اخران ثانويان يبلغ عرض فتحة كل منهما ١,٠٠ وارتفاعهما ١,٩٣م [٦٣]

يصعد الى المسجد عن طريق درجة واحدة ويتكون هو الاخر مثل المسجد الاسفل من اسكوب واحد عمقه اكثر من طوله الا انه اكبر حجما من المسجد الاول

ان المحراب هو نفس نمط محراب المسجد الاسفل اذا يحيط بالعقد ذي الشكل الحدوي والمتكون من فقرات حجرية متساوية الحجم، افريز ناتئ ومقعر، كما يحيط نفس الافريز بكامل الاطار ليكون نصف مستطيل عرضه ١,٨٠ م ويستند هذا القوس على عضادتين يحيط بهما نفس الافريز وهو يكون العنصر الوحيد الفاصل بين القسمين، وكذلك بين طاقية المحراب ذات الشكل النصف كروي والقسم الاسفل ذي الشكل النصف اسطواني وتحد هذا المحراب يمينا وشمالا نافذتان تطلان على الخارج لكل منهما اطار من الكذان كما يحد جدار القبلة شرقا وغربا طاقتان كانتا تستعملان لوضع الكتب[٦٤]

وهكذا نرى ان هذه المدرسة تمتاز ببساطتها وهي البساطة التي عرفت بها العمارة الافريقية في حكم العهد الحفصي، فان اتصاف ابو زكريا بن يحيى بالتقشف و البساطة في معيشته عكست على مدرسته الشماعية .

---

[٦٣] م، ن، ص ١٥١ .

[٦٤] بن مامي، محمد الباجي، مدارس تونس، ص ١٥٢ .

المنارة للاستشارات
www.

الخاتمة :

يتبين لنا في نهاية بحثنا ان مدينة تونس شهدت خلال حكم الدولة الحفصية حركة علمية واسعة وبالاخص في بناء العديد من المدارس الدينة و العلمية، على الرغم من ان المدارس الحفصية تبدو بسيطة في مظهرها لكن نوعية المواد التي كانت تدرس بها كانت ذا شان عظيم.

فقد ارتبط مصير هذه المدارس بالفترات التاريخية التي مرت بها مدينة تونس اذ يقابل عهود السلم والرخاء فترات علمية مزدهرة، في حين ان الفترات المضطربة قلت فيها المنشأت الجديدة وعرفت تقلصا في الدور العلمي للمدارس .

ونتيجة لعدد المدرسيين والطلبة بما يحتاجونه من توفير السكن واشياء اخرى استطاعت المدرسة ان تؤدي وظيفتها على احسن حال، وان تفتح مجالات عمل عديدة للطلبة القادمين من خارج مدينة تونس .

وبلغ المستوى العلمي للمدرسة الشماعية درجة هامة وقد لاحظنا في خلال البحث كيف انتدب للتدريس بها اهم علماء العصر انذاك الذين كانوا يحاولون اعطاء دروسهم صفة علمية تتماشى مع طبيعة المذهب المالكي ومن جانب مستوى الطلبة المتقارب مع المدرسيين كان يسمح للشيخ بان يتعمق في شرح المسائل الفقهية .

اما من الناحية الفنية و المعمارية فقد اهتم المؤسسون اهتماما خاصا بالمدارس الاولى (الشماعية) حيث تانقوا في عمارتها وتجميلها وان كان بسيط فهو يعكس توجه مؤوسيها ونظريتهم في الحياة المعتمدة على حياة التقشف و الزهد .

المنارة للاستشارات
www.

المصادر العربية

ابن الشماع ابو عبد الله محمد بن احمد (ت بعد ٨٥٠هـ / ١٤٥٧ م) الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق الطاهر المعموري، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٤ .
ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد ت (٨٠٨هـ/ ١٤٠٦ م) تاريخ ابن خلدون ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، بيروت، ٢٠٠٠ .
ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين بن محمد بن أبي بكر (ت ٦١٨هـ/ ١٢٢١م) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، ج١، بيروت، ١٩٨٩.
ابن قنفد، ابو العباس احمد بن حسين بن علي بن ميمون القسنطيني (ت ٨١٠هـ/١٤٠٧م) الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تونس، ١٩٨٦ .
الادريسي (ت ٥٦٢ هـ / ١١٦٨ م) صفة المغرب وارض السودان ومصر والأندلس مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ليدن، ١٨٦٤ .
البكري أبو عبد الله ابن عبد العزيز(ت ٤٨٧ هـ/١٠٩٣ م) المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، باريس،١٩١٩ .
الحموي، شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت الرومي البغدادي، ت (٦٢٦هـ/ ١٢٢٨ م) معجم البلدان، الجزء ١، ٧، ٨، بيروت، ٢٠٠٨ .
الزركشي، ابي عبد الله محمد بن ابراهيم بن اللؤلؤ، (ت ٨٩٤ هـ /١٤٨٩ م) تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية تحقيق د. محمد ماضور، تونس، ١٩٦٦ .
السلاوي، أبو العباس (ت ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى الدار البيضاء ١٩٩٧
المقري، شهاب الدين ابو العباس احمد بن محمد، (ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م) ازهار الرياض في اخبار القاضي عياض، القاهرة، ١٩٣٩ .
اليعقوبي، احمد بن اسحق بن جعفر (ت ٢٨٤هـ / ٨٩٧ م) البلدان،النجف الاشرف، ١٩١٨.

المراجع العربية

احمد اسماعيل راشد، تاريخ اقطار المغرب العربي الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية بيروت، ٢٠٠٤
أحمد عطية الله، القاموس الإسلامي، المجلد الأول، مكتبة النهضة المصرية، د . ت .
الترمانيني، عبد السلام، أزمنة التاريخ الإسلامي، تحيق د. شاكر مصطفى و د. احمد مختار العبادي، الكويت،ط١، ١٩٨٠ .
الجمل، شوقي، المغرب العربي الكبير من الفتح الى الوقت الحاضر، القاهرة، ٢٠٠٧ .
حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام الديني و الثقافي، بيروت، ج ٤، ١٩٩٦ .
د. علي ثويني، معجم عمارة الشعوب الاسلامية، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٥ .
روبار بر نشفيك، تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن ١٣ الى نهاية القرن ١٥ م ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت ١٩٨٨ .
السيد عبد العزيز، سالم، تاريخ المغرب الكبير، العصر الاسلامي، بيروت، ١٩٨١.
شاكر مصطفى، موسوعة دول العالم الاسلامي ورجالها، بيروت، ١٩٨٦ .
صالح ابو ديك، بحوث في تاريخ الحضارة الاسلامية، الاسكندرية، ٢٠٠٠ .
عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، بيروت، ج ٢، ١٩٦٥ .

المنارة للاستشارات
www.

عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، دار الغرب الاسلامي، بيروت الجزء ٢، ٢٠٠٥ .
عبد الواحد ذنون طه، تاريخ المغرب العربي، لبنان، ٢٠٠٤ .
علاوة عمار، مغرب اوسطيات، الجزائر، ٢٠١٣ .
مارمول كربنخال، افريقيا، ترجمة محمد حجى زبير، الرباط، ج ٣، ١٩٨٨ .
محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس - نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، بيروت، ١٩٨٥ .
محمود السيد، تاريخ دول المغرب العربي، مصر، ٢٠٠٤ .
نجيب زبيب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب و الاندلس، ج ٤، ١٩٩٥ .

الدوريات

نجاح القابسي، المعاهد و المؤسسات التعليمية في العالم الاسلامي، مجلة المؤرخ العربي، عد ١٩، ص ١٨٨ .

الشبكة الدولية للمعلومات

https://ar.wikipedia.org/wiki
/http://www.mawsouaa.tn/wiki
http://fiqh.islammessage.com
http://shamela.ws/index.php/author/
http://www.alfiqh.ma
http://shamela.ws/index.php/author
https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar
https://www.almaany.com
www.huffpostmaghreb.com/tunisie
Zaherkammoun.com/gallery/madressa-chamaia
www.museumwnf.org/images/zom/mouments

المنارة للاستشارات
www.

الملاحق

صورة رقم (١)

المدخل الرئيسي للمدرسة المدرسة الشماعية – منشورة على الموقع

www.huffpostmaghreb.com/tunisie

صورة رقم (٢)

للطابق السفلي للمدرسة الشماعية – منشور على الموقع

Zaherkammoun.com/gallery/madressa-chamaia

المنارة للاستشارات
www.

صورة رقم (٣)
اقواس المدرسة الشماعية – منشور على الموقع
Zaherkammoun.com/gallery/madressa-chamaia

صورة رقم (٤)
للطابق العلوي للمدرسة الشماعية – منشورة على الموقع
Zaherkammoun.com/gallery/madressa-chamaia

المنارة للاستشارات
www.

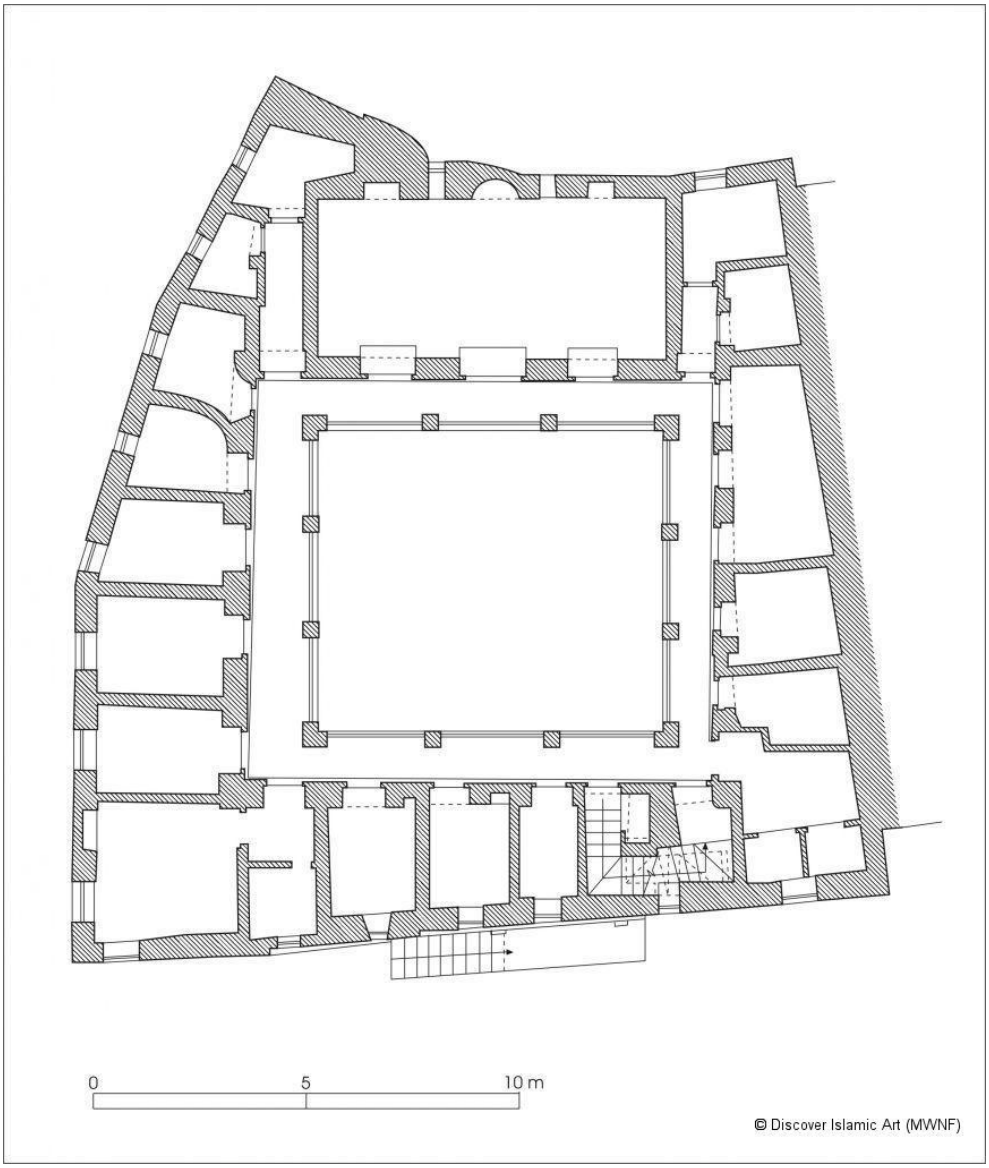

صورة رقم (٥)

خريطة توضح معالم المدرسة الشماعية – منشور على الموقع

www.museumwnf.org/images/zom/mouments

المنارة للاستشارات
www.

Architecture of Hafsia in Lower Morocco – The school is an exemplary model

Dr . Hussain Ali Qais •

Abstract:

In the 7th century AH / 13th century AD, the Hafsid Empire was established in Tunisia, and Tunisia was the base of its rule. In the course of this family, the city of Tunisia and the rest of the country under their rule witnessed political, economic and social stability, which had a positive impact on architecture and architectural arts. They set up architectural monuments that were distributed in different parts of their state. They surrounded their cities with walls, built castles for defensive purposes and constructed architectural monuments of social importance such as baths, boilers and roads. They also built several mosques such as the Kasbah and the Air Mosque Not all Koranic schools and schools.

The Chamaiya School is the first school to be built in the Arab Maghreb in general and in Tunisia in particular by order of Prince Hafsi Abu Zakaria ibn Yahya in 634 AH / 1236 AD, which was characterized by its unique design, it represents the ideal model of Moroccan architecture with eastern influence. Tunisia This is what we observe in the style of building that was adopted on the urn and the Taiwan, which surrounded the rooms of students similar to the design of the Egyptian schools and the importance of this school has been subjected to several additions through later stages have played a large role in the survival and continuation of this school to the present time.

Keywords: State of the Almohads, State Hafsis, Abu Zakaria Ben Yahya, schools, Al - Shama'a School

• **assistant professor in the Department of History - Faculty of Arts University Mustansiriyah Baghdad – Iraq** awtas72@yahoo.com

المنارة للاستشارات

www.